للتواصل:

اسم ولقب الأستاذ: **إسماعيل ونوغي**

البريد الإلكتروني: smain.ouennoughi@univ-msila.dz

عنوان الدرس: **أهمية النحو العربي ووظائفه**

أهداف الدرس:

- للنحو العربي دور في استقامة المعنى في اللغة العربية.
- بلوغ الكلمات المقاصد التي وضعت من أجلها.
- حماية اللغة العربية من خطر اللحن والفساد.
- معرفة أهمية النحو العربي في المحافظة على القرآن الكريم من التحريف.

العناصر:

- مدخل
- أهمية النحو العربي
- من وظائف النحو العربي
- المصادر والمراجع

أهمية النحو العربي ووظائفه:

مدخل: لا شكّ أنّ اللغة العربية كانت مستكملة الأدوات في العصر الجاهلي، واتّضح ذلك من خلال ما وصل إلينا من شعر ونثر، وما معلقات الشعر الجاهلي إلاّ دليل واضح على ذلك؛ إذ حملت معاني ودلالات كثيرة عن حياة العرب قبل الإسلام، من صفات وعادات وغيرها ممّا كان سائدا في ذلك العصر، واللغة العربية آنذاك في أرفع درجاتها وهي اللسان العربي الذي استطاع أن يحمل التراث العربي الكبير. ولما جاء الإسلام الدين الجديد بقيت اللغة العربية محافظة على قيمتها وأهمّيتها... في حين صار الشكّ في الفساد يراود لغات أهل المناطق الساحلية للجزيرة العربية.

أهميـة النحـو العربـي: لا غنـى مـن تأكيـد أنّ النحـو العربـي هـو الدعامـة الأساسية التـي تقوم عليها اللغـة العربيـة منذ نشأتها وخصّـها الله سبحانه وتعالى إضافة على ذلك بأن جعلها لغة مقدّسة وسعت آي القرآن الكريم، وفي هذا السياق لفتة طيّبة للإمام عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في خضمّ حديثه عن إعجاز القرآن والتنسيق بين العناصر في التركيب والاستعارة... وهو يؤكّد على أهمية النحو العربي وعدم إمكانية الاستغناء عنه بأيّ حال من الأحوال حيث قال: «ذلك لأنّه إذا كان لا يكون النّظم شيئا غير توخّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنّه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخّيها فيما بين الكلم.»[1]. ما من شكّ أنّ النحو العربي إذن يمثل ركنا سميكا في عملية نظم الكلام وترتيب الألفاظ والتنسيق بينها للدلالة على المعنى المقصود، بالاشتراك مع عناصر أخرى في اللغة العربية. ولقد وُضع النحو العربي ونشأ وترعرع في العراق لأنه على حدود

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، بيروت: 1415هـ–1994 م، ص253.

البادية وملتقى العرب، وغيرهم من الأمم والشعوب، وإنّ معظم الروايات تؤكد أنّ أوّل من وضع النحو العربي هو الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم قام أبو الأسود بتطويره وإثرائه بدروس متعددة، وقال ابن الأنبا ري في هذا الشّأن: «وسبب وضع علي لهذا العلم ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين، فقال إنّي تأمّلت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء–يعني الأعاجم– فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثمّ ألقى إليه الرقعة، وفيها مكتوب، الكلام كله: اسم وفعل وحرف.. وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك قال: ثم وضعت بابي العطف والنّعت ثمّ بابي التعجّب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إنّ وأخواتها، ماخلا لكن، فلمّا عرضتها على عليّ أمر بضمّ لكن إليها، وكنت كلّما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت! فلذلك سُمّي النحو.»[2] إنّ هذا الكلام في غاية الأهمّية إذا عرفنا أنّ اللغة تنبني على قواعد وأسس ثابتة، وهذه القواعد هي أيضا جزء ثابت من اللغة ولا يتبدّل، إذ تشمل كلام النـاّس ومقاصدهم، وبواسطتها يركّبون الجمل والعبارات، وهذه الأسس لا تتعلق بالمفردات فحسب بل تمسّ كذلك الجمل وما يُحيط بها من جميع الجوانب المتعلّقة بصياغتها، وكيفيّة تكوّنها، لكي تكون جملا صحيحة سليمة وكاملة يُفهم الغرض منها، ويتمّ من خلالها الوقوف على المدلول الناتج عن اجتماع تلك المفردات في ذلك النسق الخاص والنسيج المتماسك، وقد وقف العلماء أمام هذه القواعد طويلا وأصّلوا لها الأصول والمرتكزات التي ترتكز عليها فكانت بذلك الرحلة الشّاقة التي بدأها النحو مع اللغة العربية.

وعلم النحو كغيره من العلوم اللغوية لم يوجد كاملا ومجملا فقد نشأ نتيجة عدّة ظروف لاءمت ميلاده وبروزه إلى الوجود، ثمّ سلك مسلك النّضج والتّطوّر إلى

[2]–ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، ص19.

أن أصبح علما قائما بذاته. وبذلك فالنحو عماد اللغة واللغة عماد كلّ أمّة والنحو العربي على مرّ السنين تخلّلته الكثير من الشّوائب طمست مجموعة من معالمه، وسترت محاسنه، وجعلته في نظر مجموعة هائلة من أبنائه ممّن يتعلّمونه طوعا أو كرها، عسير المسلك صعب التّمرّس فبعد أن وُضع هذا العلم من أجل صيانة اللغة العربية من الفساد، ودرء خطر اللحن الذي اجتاح ألسنة الناس بسبب مخالطة الأعاجم بعد قيام الدولة الإسلامية، فإنّ أعجب الأمور أن يتحوّل هذا العلم نفسه إلى سبب من أسباب اتّساع الهوّة التي تفصل في أيّامنا بين اللغة العربية الفصحى، وبين اللهجات العامّية المتفرّعة عنها، وما ذلك إلاّ لتراكم صعوبات تعليم النحو وعدم مسايرته التّطوّر اللاحق بمختلف جوانب حياتنا المعاصرة حتّى باتت الدعوة إلى تيسير النّحو مطلبا يتّفق عليه الباحثون، وتوصي به المجامع اللغوية العربية والهيئات التّدريسية والوزارات التّعليمية، لذلك لازال نحو العربية عسيرا عند أهلها، لا يخلو من تعقيد، ولا يسلم من انحراف، وما زال هذا النحو مثار الشّكوى لدى المعلّمين والمتعلّمين على حدّ سواء حيث يدفعهم حبّ الاطّلاع على دراسته، ولكن سرعان ما تخمد همّتهم فلا يكادون يبلغون منه الغاية أو يصلون فيه إلى نهاية، وكلّما اتّسع أمامهم مجاله كلّما وجدوا صعوبة أكثر وتشابكا في مسالكه، فشغلتهم الوسيلة عن الغاية. وبهذا صار النّحو أحد مشكلات التّعليم في أغلب بلادنا العربية، تقع بين طرفين متناقضين، إمّا دراسة ضحلة مهلهلة لا يفهم الدّارس والمدرّس فيها شيئا ممّا يقول، وإنّما هو ترديد لأقوال وآثار العلماء القدامى، وأخذ من كتبهم ممّا لا يغني الدّارس ولا ينمّي فيه ملكة التّعبير الصّحيح، وفهم النّصوص فهما سليما، وإمّا دراسة تقليدية مضنية متعبة لا ارتباط بينها وبين واقع الحياة العقلية المعاصرة. هذه المسألة هي التي ولدت إشكالية في تعليم النّحو العربي، أكثر من أيّ وقت مضى نظرا للضّعف اللغوي الذي أصبح يُشكّل ظاهرة عامّة تزداد استفحالا مع مرور الزّمن، وممّا لا شكّ فيه أنّ أسباب

هذه الظّاهرة معقّدة ومتعدّدة الجوانب، منها ما يتعلّق بطرائق تعليم النّحو العربي ومنها ما يتعلّق بتكوين المعلّمين، ومعظم أسباب قصور لغة الناطقين باللغة العربية مردّه إلى الضّعف في تدريس وتلقّي مادّة النحو العربي، لهذا فإنّ المنظومة التعليمية العربية تسعى لسدّ هذا الضّعف عن طريق ابتكار طرق ووسائل تعالج هذا النّقص، ولقد مسّ الإصلاح الجديد جميع مستويات التّعليم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، ومن جوانب هذا الإصلاح محاولة تحسين تعلم اللغة العربية عن طريق تبديل وتنويع المناهج التعليمية والمقرّرات السنويّة التي يتلقّاها الدّارسون.

من وظائف النّحو العربي: يُعدّ النّحو العربي مهمّا في الدّراسات اللغوية، وفي ضبط الأداء اللغوي، وهذا من خلال الوظائف التي يُؤدّيها في التّعبير، وهي وظائف كثيرة ومتنوّعة، ولكنّها تشترك جميعا في تحقيق كلام سليم، وتعبير صحيح يُفهم معناه، ويُدرك في غير لبس أو غموض، كما يعين على جودة الأسلوب ودقّته، وتنمية مهارات التّفكير العلمي الذي يقود إلى تفكير سليم وقويم، كما يُعين النّحو على استعمال الألفاظ والجمل والعبارات استعمالا صحيحا مُفيدا ، فتتشكّل بها لدى المتعلّمين والدّارسين والمعلّمين عادات لُغويّة سليمة، كما يُقدّم لنا العلاقات والإشارات التي نصل بها إلى التّفسيرات المحتملة للرّسائل التي نتلقّاها أو نكتبها، وذلك عن طريق تصنيف للكلمات المفردة أو لمجموعة من الكلمات. ومن العلماء من حصر وظائف النّحو في نقاط أساسية وهامّة وهي، تشمل جانب الكتابة والقراءة والنّطق، من بينها: «يكفل سلامة التّعبير وصحّة أدائه وفهم معناه وإدراكه في غير لبس أو غموض، كما يساعد على جمال الأسلوب وجودته ودقّته، وتنمية التّفكير العلمي، كما يعين على استعمال الألفاظ والجمل والعبارات استعمالا صحيحا، فتتكوّن لدى الدّارسين عادات لغوية سليمة، ويقدّم لنا العلاقات الإشارات لنصل إلى التّفسيرات المحتملة للرّسائل... وأوردت الأستاذة ظبية السليطي رأيا

للأستاذ هاليداي(Halliday) في كتابه النحو الوظيفي إذ يرى أنّ للنّحو ثلاث وظائف هامة هي:

«1-الوظيفة المثالية: وفيها العمل على تأليف جمل في أقصى الدّقّة وحسن التّعبير.

2-الوظيفة السياقية: وهي ما يُستفاد من سياق الكلام من معاني ومفاهيم.

3-الوظيفة الشّخصية: وفيها تتّضح العلاقة بين الأشخاص أو الأفراد وتفاعلاتهم»[3]وإذا حُصرت أهمّ وظائف النحو في هذه الكلمات فإنّه يمكن القول إنّ النحوي هو أولى من غيره بتوضيح الأهمّية البالغة التي تكتسيها مادّة النحو، إذ يلعب النّحويّ الدّور الأساسي في معالجة مادة النّحو العربي، سواء أكان هذا النّحوي عالما أم مُدرّسا أم طالبا في النّحو، إذ تُلقى على عاتقه مسؤولية كبرى في تناوله القواعد والأساليب النحوية، وينبغي أن يكون حريصا حرصا شديدا على تجنّب الخطإ في عرض الأسس النّحوية على المتعلّمين، ولا بأس مع ذلك أن يكون على معرفة ودراية بالعلوم الأخرى التي لها علاقة بطبيعة اللغة وخصائصها. وهناك من العلماء من لا يقصر وظيفة النّحو على ضبط الكلمات ومعرفة المرفوع والمنصوب والمجرور، والمبني والمعرب والنكرة والمعرفة والمصروف والممنوع من الصرف... كما ورد عند الأستاذ صابر بكر، وإنّما: «تتّسع وظيفة النّحو إلى مدى أكبر وميدان أرحب، فلا تكاد تقرأ تفسيرا للقرآن الكريم إلاّ وجدت النّحو عاملا أساسيّا في فهم المعنى والوقوف على دلالات النصّ، الأمر الذي جعل المفسّرين يرون أنّ النّحو من أدوات المفسّر ولا يستطيع أن يتصدّى للتّفسير إلاّ إذا أخذ بأدواته كاملة، ذلك أن القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين، وينبغي أن نتعرّف على قواعد اللسان العربي، ونعرف قواعد العرب

[3]-ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، ص27-28.

في لغتهم وسننهم في توجيه كلامهم، حتّى يتسنّى معرفة معاني القرآن الكريم.»[4]. إضافة إلى ذلك فمدرّس النّحو يتميّز بتسجيل معاني الملاحظات ونتائج الاختيارات التي يقوم بها، كما يصف ما يطرأ على الكلمة أو الجملة من تبدّلات، ثمّ معرفة العلاقة بين الكلمة والكلمة الأخرى وبين الجملة والجمل الأخرى، ولا نغفل أنّ للغة جانبا اجتماعيا، تخضع لما يخضع له المجتمع من أحكام، حيث إنّها تستند إلى عقل المجتمع وفلسفته والتّغيّرات التي تطرأ عليه، فالمعلّم والمتعلّم كلاهما في حاجة ماسّة لمادّة القواعد العربية، فبذلك يعمل النّحو على تقويم اللسان وتعويده على النّطق العربي الصحيح للكلام، كم يؤكّد الأستاذ صابر على ذلك في بقية كلامه قائلا: «يلفتنا النّحو العربي إلى الإيقاع والموسيقى في تعلّق الكلمة بما جاورها من الكلمات، كما ساعد في التّعرّف على العلاقة بين الكلمة والأخرى داخل الجملة، وعلاقة الجملة بالأخرى، فوقف بنا على نظم الكلمات والعوامل التي تربط بين الكلمة والأخرى أو بين العوامل والمعمولات بحيث تمثّل الجملة العربية وحدة متكاملة تتناسق مع غيرها من الكلمات.»[5] ولم يخف على أحد من واقع العلم والحياة ما يحتلّه النّحو العربي من مكانة سامية في اللغة العربية وناهيك عن كونه سبيلا متفرّدا في تفسير آي الله الحكيم، وأشير هنا إلى رأي أدلى به الأستاذ محمود سليمان، قال في مقدّمة كتابه النّحو التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم: «فإنّ النّحو يُعدّ دعامة اللغة العربية وركيزتها الأساسية، ولا يستغني عنه المشتغلون بالدّراسات الأدبية والنّقدية والبلاغية وسواها، بل إنّ القدماء رأوا أنّه من الأدوات المهمة التي يعتمد عليها العالم حين توقّفه أمام آي الذّكر الحكيم بالتّفسير

[4]–صابر بكر السّعود، النّحو العربي، دراسة نصّية، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة: 1988م، ص9.

[5]–المرجع السابق، ص40.

والتّحليل واستخراج الشّرائع والأحكام.»[6] وفي مقدّمة كتاب النّحو الوافي للأستاذ عباس حسن يستنكر لأولئك الذين يغفلون قيمة النحو العربي وأهميته في اللغة العربية وميادينها، إذ قال: «وليس من شكّ في التراث النّحوي والصّرفي الذي تركه أسلافنا أنه نفيس غاية النفاسة، وأنّ الجهد الناجح الذي بذلوه فيها خلال الأزمان المتعاقبة جهد لم يُهيّأ للكثير من العلوم المختلفة في عصورها القديمة والحديثة، ولا يقدر على احتمال بعضه حشود من الثرثارين العاجزين الذين يُوارون عجزهم وقصورهم–علم الله–بغمز النّحو والصّرف بغير حق، وطعن أئمّته الأفذاذ.»[7] وبذلك تكون المهمة المنوطة بالعالم والمتعلم هي إيجاد الصيغ الضرورية لتعلم النّحو العربي، والبحث عن السبل التي تكفل تعليمه بفائدة وليس من المسموح به الطّعن والتّجريح في العلماء الذين خاضوا أغماره سواء أكان ذلك قديما أم حديثا.

إنّ التعلم يخص كل أنواع النشاط البشري على لسان الأستاذة رمزية الغريب: «حتّى إنّه لا يكاد يوجد نمط من أنماط السلوك المكيف يخلو من نوع من التعلم... وليس البحث في موضوع التعلم جديدا، فقد شغل هذا الموضوع المربين والآباء والمصلحين الاجتماعيين من قديم الزمان...»[8] وهذا للأهمية التي يكتسيها التعليم والتكوين في حياة الأمم والشعوب، إذ هما السبيل الأمثل لإخراج الإنسان من الجهل والتخلف والأخذ بيده إلى مصاف التقدم والازدهار.

---

[6]–محمود سليمان ياقوت، النّحو التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 2002م، مصر العربية، ص7.

[7]–عباس حسن، النحو الوافي، دار المعرفة، ط5، مصر العربية، ج1، ص3.

[8]–رمزية الغريب، التعلّم، دراسة نفسية تفسيرية توجيهية، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، 65 شارع محمد فريد، القاهرة: 1977م، ص9.

المصادر والمراجع:

المصحف الشريف.

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، بيروت: 1415هـ-1994م.
- ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، ط1، النّاشر: الدّار المصرية اللبنانية: 1423هـ-2002م، مصر العربية.
- صابر بكر السّعود، النّحو العربي، دراسة نصّية، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة: 1988م، مصر العربية، ص9.
- محمود سليمان ياقوت، النّحو التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 2002م.
- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعرفة، ط5، مصر، ج1.
- رمزية الغريب، التعلّم، دراسة نفسية تفسيرية توجيهية، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، 65 شارع محمد فريد، القاهرة: 1977م.